

ترجمة المصطلحات العلمية في الوطن العربي

د/ عبد الحق زريوح

جامعة تلمسان

إن ترجمة المصطلحات العلمية ضرورة ملحة لا بدّ منها لإشاعة المعرفة بين أفراد المجتمع. ونظرة خاطفة في التاريخ الحديث، تؤكد أنّ تعريب المصطلحات العلمية واكب أحداث النهضة العربية؛ ففي مصر، عرفت البلاد في عهد "محمد علي" (1805-1849م) نهضة علمية متميّزة؛ فقد كثرت المدارس وأُرسلت البعثات العلمية لتلقّي صنوف المعرفة الأوروبية. وكان يفرض على كلّ من يدخل في خدمته من الأجانب أن يتزَيّى بالزّي العربي المصري، وأن يتعلّم اللّغة العربية ويتحدّث بها ويؤلّف بها، أو ينقل كتب بلاده العلمية إليها¹. وتمّ على أيّامه، تأسيس "مدرسة الألسن" عام 1835م، ثمّ "غرفة الترجمة" عام 1841م، وتحتوي على ترجمة كتب الرياضة، وترجمة العلوم الطّبيّة والطّبيعيّة، وترجمة الموادّ الأدبيّة، وترجمة الكتب التركيّة².

وكانت ترجمة الكتب العلمية تتمّ بطريقة دقيقة من ناحية الضبط العلمي، وسليمة من جانب الصّحّة اللّغوية، وذلك بجلب نخبة لغوية من الأزهر الشريف وتكليفها بمراجعة النّصوص المترجمة وتصحيحها وإعادة كتابتها بلغة

سهلة مبنية. وكثيرا ما كان المصححون من المترجمين يجتمعون لمناقشة عبارات الكتاب الواحد، العبارة تلو العبارة. وفي مناقشتهم تلك، يرجعون إلى الأصل الأجنبي، وإلى المعاجم القديمة، للاتفاق على صورة نهائية ما. وبعد ذلك كله، قد يُطلب من المترجم نفسه، أو من مترجم غيره أن يعيد ترجمة النصّ العربي إلى اللغة الأجنبية ثانية، ليطلع عليه الأستاذ الأجنبي المتخصص بتدريس المادة في كلية الطبّ، فإذا وجد أنّ الأفكار سليمة، وأنّ المترجم متفهم للعبارات، أجاز تحرير النصّ العربي وطبعه³.

ثمّ صارت الصورة أقرب منها إلى البساطة بعد أن قضى طلاب البعثات العلمية سنواتهم الأولى في فرنسا، وتمكّنوا من ناصية اللغة الفرنسية، وصاروا قادرين على الترجمة بلغة عربية سليمة، ذلك أنّهم في الأصل، طلبة الأزهر الشريف.

والواقع، إنّ "محمد علي" أرسل إلى هؤلاء الطلاب تعليمات صارمة يحثهم فيها على ترجمة الكتب التي يدرسونها أولا بأول، ويرسلونها مع الترجمة إلى مصر⁴. وفي الوقت ذاته، أعطى "محمد علي" ضباط الجيش المصري تعليمات مشابهة، تطلب منهم حضّ طلاب السنة الثالثة من المدارس الحربية على نقل ما يرونه مفيدا من اللغة الفرنسية إلى العربية⁵.

وربّما كان خير تقييم لهؤلاء المجتهدين الأوائل في النقل إلى العربية، ما جاء على لسان الأستاذ الدكتور "حسني سبيح" رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق: >> سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطبّ اليوم؛ أحيوا من مصطلح الطبّ العربي الإسلامي ما رأوه وافيا بالغرض، واجتهدوا في

وضع مقابل بالعربية لما جدّ من مصطلحات. وأمّا ما لم يهتدوا فيه إلى لفظ عربي مناسب فلجؤوا فيه إلى التعريب. ولم يمضِ عقدان حتّى استعرب الطّبّ في جميع أنحاء مصر استعراباً كاملاً، وبلغ عدد ما ترجمه وألفه أساتذة هذه المدرسة ستّة وسبعين كتاباً اشتملت على ألوف المصطلحات <6>. وفي سنة 1849، أنجز أول معجم عربي متخصص بالمصطلحات الطبية وهو "الشذور الذهبية بالمصطلحات الطبية"، بعد أن دام العمل فيه ما يقرب من ربع قرن من لدن فريق كبير من الأطباء وشيوخ الأزهر الشريف⁷.

وفي بيروت، أسّس الآباء البروتستانت "الكلية السّورية الإنجيلية"، وكان أول فروعها "مدرسة الآداب والعلوم" التي فتحت أبوابها عام 1866م، ثمّ مدرسة الطّبّ التي افتتحت سنة 1867م، و"مدرسة الصّيّدة" التي باشرت أعمالها في عام 1876م⁸. وكانت هذه الكليات تُدرّس الموادّ العلمية باللّغة العربية. وقد شارك مدرّسوها في نقل العلوم إلى اللّغة العربية. ولعلّ من أبرزهم: "كورنيليوس فانديك" (1818-1895م) الذي ألف باللّغة العربية عشرين كتاباً في العلوم والفنون، نحو "الباثولوجيا الدّاخلية" و"أصول التّشخيص الطّبيّ" و"أصول الكيمياء" و"الأصول الهندسية". و"يوحنا ورتبات" (1827-1908م)، و"علي سميث"⁹. ثمّ سُميت "الجامعة الأميركيّة" في 1920م، ومنها تخرّج العديد من رجالات النّهضة مثل "يعقوب صرّوف" (1852-1927م) الذي أنشأ، مع زميله "قارس نمر" (1856-1951م)، مجلة "المقتطف" ذات الطّابع العلميّ؛ وهي مجلة شهرية، صدر العدد الأوّل منها في بيروت مطلع شهر مايو من عام 1876م، ثمّ انتقلت إلى القاهرة عام 1885م، واستمرّت بالصدور حتّى عام 1953م.

وفي بيروت أيضا، أسّس الآباء اليسوعيون "جامعة القديس يوسف" عام 1875م، وألحقوا بها "مدرسة للطب" عام 1883م، و"مدرسة للصيدلة" عام 1888م، ثم صار اسمها، فيما بعد، الجامعة اليسوعية، وكانت تُدرّس جميع المواد الدراسية باللغة العربية¹⁰.

وفي بيروت كذلك، صدرت مجلة "الجنان"، بين أعوام 1870-1885م. وعُني مؤسسها "بطرس البستاني" بالبحوث العلمية، فأصدر "دائرة معارف البستاني" منذ عام 1876م، مجارة "لدائرة المعارف البريطانية" التي صدر الجزء الأول منها عام 1871م. وعندما تُوفي "بطرس" عام 1883م، تولّى بعض من أفراد عائلته إكمال هذه المهمة، كأخريهم "إفرايم البستاني" الذي أصدر عام 1954م الأجزاء الأحد عشر (11) من الموسوعة¹¹.

وأما في دمشق، فقد شرعت "المدرسة الطبية العربية" في تدريس اللغة العربية منذ اليوم الأول من إنشائها عام 1919م، وبدعم من الثوار العرب. ثم انتقلت تسميتها إلى "العهد الطبي العربي". وبعد إلحاق "مدرسة الحقوق" إليها عام 1923م، صار اسمها "الجامعة السورية". وباشرت بإصدار مجلة شهرية خاصة بها منذ عام 1923م¹². كما كانت "رئاسة إدارة الصحة"، في دمشق، تُصدر منذ 1919م أسبوعية يُقال لها "مجلة الصحة العمومية"، ومن النادر أن كان يخلو عدد من أعدادها من الدعوة الملحة إلى تعريب المصطلحات الطبية والعلمية. ومنذ الأيام الأولى لقيام الحكومة العربية في دمشق، تم إنشاء "الشعبة الأولى للترجمة والتأليف" التي سرعان ما تحولت إلى "ديوان المعارف"، ثم إلى "المجمع العلمي العربي" عام 1919م. وكان على قائمة أهداف هذا المجمع، كما جاء في اليوم الأول له:

>> تعريب ما ينقص العربية من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية، وتأليف ما تحتاج إليه الكتب المختلفة من المواضيع على نمط جديد <<¹³. كما باشر المجمع منذ عام 1921م بإصدار "مجلة المجمع العلمي العربي" التي تغيّر اسمها، بداية من 1960، إلى "مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق". وعلى صفحاتها، نجد تعليقات المجمعيين العرب على شؤون التعريب والمصطلحات العلمية¹⁴. وكان من جهودهم أن ترجموا "معجم المصطلحات الطبية" للدكتور "كليرفيل"، وتم إصداره عام 1956م، وعلق عليه الأستاذ الكبير "حسني سبح" في مجلة المجمع¹⁵.

وفي سنة 1985م، صدر العدد الأول من "مجلة جامعة دمشق"، وهي مجلة فصلية تهتم بشؤون تعريب التعليم العالي.

ولكن على الرغم من تأسيس هذه الجامعات وغيرها، مثل إنشاء "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة في: 1932/12/13، والذي باشر أعماله في 1934/1/30، وتأسيس "المجمع العلمي العراقي" ببغداد في 1947/11/26، وإقامة "المجمع العلمي اللبناني" في 1928/2/20، والذي ألغي بمرسوم جمهوري في 1930/02/03، بحجة توفير المال للخزينة¹⁶. قلت: على الرغم من هذه الجامعات، ومباشرة أعمالها في الترجمة والتأليف، فإن مشكلة مستعصية برزت ألا وهي "توحيد المصطلحات". ولحل هذه المعضلة، سارعت الجامعات لتوحيد الجهود، وتم، من أجل ذلك، في شهر سبتمبر من عام 1956م انعقاد المجمع اللغوية العلمية (المصري والسوري والعراقي)، في دمشق بناءً على دعوة من قبل الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، وكانت برئاسة الدكتور "هله عسين". ودعت كل مجمع لإرسال ثلاثة من

أعضائه، ودعت الدول العربية التي لا يوجد فيها مجمعٌ إلى إيفاد مراقب عنها لحضور المؤتمر. وأكد المؤتمر أنَّهُ >> من الواجب المحتم إيجاد ألفاظ عربية لما اشتقَّ من العلوم أو تفرَّع عنها <<، وتمَّ تشكيل "اتحاد المجامع اللغوية العربية"، وتتابع اجتماعاته >> وكانت رغبات السادة الأعضاء تلتقي حول العمل السريع لتوحيد المصطلحات العلمية، ورأوا أن خير سبيل لتحقيق هذا الهدف هو أن تتبادل المجامع الثلاثة مقرراتها، وأن يدرس كل مجمع ما انتهى إليه زملاؤه <<¹⁷، ثمَّ صارت هذه الاجتماعات تُعقد في شكل ندوات يستضيفها قطر عربي بعينه. ففي هذا الشأن، مثلاً، اقترح الاتحاد الاتصال بالمملكة المغربية بغية عقد ندوة للاتحاد في الرباط يدور موضوعها حول "تعريب التعليم الجامعي في الربع الأخير من هذا القرن" (أي القرن العشرون)، وذلك في جلسته المنعقدة في مبنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في 1983/2/27.

والحق، إنَّ مواجهة مشكلة "توحيد المصطلحات" ليست من مهمة المجامع فقط، بل تتجاوزها، في اعتقادي، إلى دور السلطة وما تقدّمه من إزامات لإنجاح جهود هذه المجامع؛ ففي المجال الجامعي، استخدام المعرب من المفردات أثناء الدراسة من الضرورات التي يجب التقيد بها؛ ففي سورية، مثلاً، أنشئت وزارة التعليم العالي عام 1966م، وجاء في المرسوم 143 أن أهمَّ أهدافها، كما هو مرتّب،: رابعاً- المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على تقدّمها لتفي بمطالب العلوم والفنون وملاءمتها لحاجات العصر/ خامساً- وضع المصطلحات العلمية وتحقيقها والعمل على توحيدها في البلاد العربية¹⁸.

وفي تونس، أنشئ "بيت الحكمة" أو "المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات". وفي هياكل هذه المؤسسة، ثمة هيكل يُدعى "المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات". وتعتمد هذه المؤسسة على أعضاء المجلس العلمي المتكويّن من واحد وثلاثين (31) عضواً من تونس، وتسعة وعشرين (29) عضواً مراسلاً من خارجها¹⁹.

وفي الكويت، تضطلع جامعة الكويت بإصدار دوريات علمية ذات مستوى راق، وتهتمّ باستعمال المصطلحات العلمية العربية. كما يقوم "المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت" بإصدار دوريات على غرار في الدّوريات الجامعية الأخرى؛ مثل مجلة "الثّقافة العالمية" التي أُسّست لتقديم جديد ما في تيارات الفكر العلمي في عديد مجالات المعرفة، وسبيلها، في ذلك، هو الترجمة عن مختلف الدّوريات العالمية، وهي تصدر منذ عام 1981م كلّ شهرين. ونحو ما نجده في سلسلة "عالم المعرفة" الذي نيف إنتاجه على خمسة وعشرين (25) كتاباً مترجماً ومراجعا بكيفية علمية دقيقة.

وللمنظمات الدولية دور مهمّ في نشر تعريب المصطلحات العلمية؛ فهناك عدد وفير من الدّوريات تصدر، مثلاً، من منظمة جامعة الدول العربية، ومنظمة الأمم المتحدة. ولعلّ أهمّ شروط النشر في هذه الدّوريات هي استخدام المصطلحات العلمية العربية المعتمدة من قبل "المعجم الطّبّي الموحد" الذي صدر بإشراف "مجلس وزراء الصّحة العرب" و"اتحاد الأطباء العرب" و"منظمة الصّحة العالمية" و"المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"²⁰.

- 1 انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ط1980، ص299.
- 2 انظر: د. محمد فؤاد شكري ود. عبد المقصود العناني وسيد محمد خليل، بناء دولة مصر محمد علي (السياسة الداخلية)، دار الفكر العربي، ط01: 1948، ص47.
- 3 انظر: د. جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، ط01: 1951، ص207.
- 4 انظر: أمين سامي باشا، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ص414.
- 5 انظر: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص93.
- 6 د. حسني سبيح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج60، ج4، أكتوبر 1985، ص650.
- 7 انظر: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص190.
- 8 انظر: حسني سبيح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج44، ج1، 2/ يناير 1969، ص6 وما بعدها.
- 9 انظر: محمد كرد علي، المعاصرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1980، ص312، 313.
- 10 انظر: د. حسني سبيح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج44، ج1، 2/ يناير 1969، ص6 وما بعدها.
- 11 انظر: أنيس صائغ، مجلة حوار، ع21، مارس 1966.

12 انظر: أحمد بدر الدين، المدارس الطبية في دمشق، المجلة الطبية العربية، ع83 ، يونيو 1984.

13 د. حسني سبح، مجلة اللغة العربية بدمشق، المرجع السابق.

14 انظر: محمد جميل بيهم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج44، ج1، 2/ يناير 1969.

15 نفسه.

16 نفسه .

17 زاوية آراء: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج47، ج3، يوليو 1973.

18 النشرة السنوية لوزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية: 1983-1984.

19 انظر: البشير بن سلامة، مجلة الفكر، ع4، س29: يناير 1984.

20 انظر: المعجم الطبي الموحد، دار طلاس بدمشق 1984.